

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

١٩

طبقات القرّاء

تأليف

الإمام شمس الدّين أبي عبد الله محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبي

٦٧٣ - ٧٤٨هـ

تحقيق

الدكتور أحمد خان

الجزء الأول

الطبعة الأولى
١٤١٨هـ - ١٩٩٧م

الطبعة الأولى ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م

مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية

ص . ب (٥١٠٤٩) الرياض ١١٥٤٣

ح مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، ١٤١٨ هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية
الذهبي، محمد بن أحمد، ت ٧٤٨هـ
طبقات القراء / تحقيق أحمد خان
٥٧٢ ص ؛ ٢٤ سم
ردمك ١ -٠٦- ٧٢٦-٩٩٦٠ (مجموعة)
٧-١٧-٧٢٦-٩٩٦٠ (ج١)
طبقات القراء أ ـ خان، أحمد (محقق) ب ـ العنوان
بوي ٢، ٩٢٢ ١٢٢٩/ ١٥

رقم الإيداع: ١٢٢٩/ ١٥

ردمك: ١-٠٦- ٧٢٦-٩٩٦٠ (مجموعة)

٧-١٧-٧٢٦-٩٩٦٠ (ج١)

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

تقديـــم

اهتـم المسلـمـون بالقـرآن الكريـم اهتمـامًا كبـيرًا؛ فكان أن دُوّن في حـياة النبي ﷺ، ثم أعيد جمعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنـه، ثم جمع جمعاً آخـر في عهد الخليفة الثالـث عثمان بن عـفان ونشرت نسخه في أشهـر الأمصار الإسلامـية آنذاك. وعُني المسلمـون بالقرآن حفظا وتلاوة وتعليـما وتفسيرا وتوجيها لقراءاته وبيانا لغريب ألفاظه... إلخ.

ومن ثَم اهتموا أيضاً بـمن حمل القـرآن وعلّمه ونشره في الناس؛ فألفوا في طبقـات القراء كتـبا منفصلة تـتبعوا فـيها قُـراء القرآن الكريم من الصـحابة ثم التـابعين ثم من جاء بعـدهم. ولعلّ من أشـهر تلك الكـتب «غاية النهـاية في طبقات القراء» للإمام ابن الـجَزَري (ت ٨٣٣هـ) الذي لا يزال أكبر مرجع عـن قُراء القرآن، وفيه مادة تاريخية واسعـة تستحق الدرس والتمحيص. وألف غيره في طبـقـات القراء كـأبي عـمـرو الداني (ت ٤٤٤هـ) وأبي مـعشـر الطبـري (ت٤٧٨هـ). هذا، سـوى مؤلفي التـراجم الذين لـم يخصـوا نوعـاً من الفنّ بالتأليف كياقوت الحـموي (ت٦٢٦هـ) فـي «معجم الأدباء» وابن خلـكـان (ت ٦٨١هـ) فـي «وفيات الأعيان».

وكان شمس الـدين أبوعبدالله محمـد بن أحمد بن عثـمان الذهبي (٦٧٣-٧٤٨هـ) من مـشاهيـر المؤرخين والمؤلفين في الطبـقـات، وقد رجح اهتـمامـه بالطبـقات والتراجم علـى الجوانب التاريخـية الأخـرى حتى في كـتابه الكبـير «تاريـخ الإسـلام». وقد صار كـتاب الذهبي في التاريخ مرجعـاً في فنه، كما صـارت كـتبـه عـــن المحدثين مـثـل «مـيزان الاعـتـدال» و «تذكـرة الحفـاظ»

وغيرهما. . مرجعاً يؤول إليه أهل صناعة الحديث في معرفة الرجال وأحوالهم في الرواية.

وها نحن نقدم كتابه «**طبقات القراء**» بتحقيق الأستاذ الدكتور أحمد خان الذي عثر على نسخة فريدة منه تفوق في حجمها ومعلوماتها النسخة المنشورة لهذا الكتاب.

وقد كان كتاب الذهبي هذا مرجعاً لأهل هذا الفنّ المعنيين بالقُراء وأحوالهم؛ ومن أولئك ابن الجزري الذي أخذ مادة الكتاب كاملة في كتابه «غاية النهاية في طبقات القراء».

ولا شك أن الذهبي قد استفاد من سابقيه في التراجم، وقد ذكر في ثنايا كتابه مؤلفات كثيرة (وقد أفرد لها المحقق الكريم فهرسا)، وأسند مروياته إلى أصحابها. وكان له في ثنايا كتابه وقفات من بعض المترجَمين تستحق الدراسة، ولعل مما توضحه تلك الوقفات أن الذهبي ليس ناقلاً عن غيره فقط، لكنه ناقل ناقد يغربل المادة التي يرويها وينظر في وجوهها متى استغرب منها متناً أو سنداً.

وإنه ليسرنا أن نقدم هذا العمل الجليل سائلين الله أن ينفع به وأن يجزي مؤلفه ومحققه وناشره خير الجزاء ٠٠ والحمد لله أولاً وآخرًا.

الأمين العام

د. زيد بن عبدالمحسن الحسين

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعدُ :

فإن جميع نشرات طبقات القراء للذهبي التي طبعت حتى الآن باسم «طبقات القراء» أو «معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار»، سواء أكانت محققة أم غير محققة، وسواء أقرئت على الذهبي أم لم تُقرأ عليه، جميعها كانت من نسخ ناقصة للكتاب وغير كاملة، ولاهي مما ارتضاه المؤلف.

ولم يدرك العلماء الذين استفادوا من هذه النسخ أو اقتبسوا منها هذا النقص، كابن الجزري الذي نقل هذا الكتاب جميعه في «غاية النهاية في طبقات القراء» له. ومن الغريب أن أولئك العلماء لم يفطنوا خلال القرون إلى هذا النقص الكبير.

وبعون الله وفضل منه انكشف لنا مصادفةً هذا الأمرُ غير المتوقع. وفي الصفحات الآتية سنلقي الضوء على هذا الكشف، كما نحرز الشرف بتقديم نسخة طبقات القراء للذهبي الكاملة إلى محبي التراث العربي الإسلامي، راجين من الله التوفيق والسداد.

الدكتور أحمد خان

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد

مقدمـــة

من المعروف أن عـدداً من أصحـاب التآليف من الأسـلاف لم يدونوا بعض تأليفاتهم مرةً واحدة بل أعادوا النظر فيها، بعد أن حصلوا على معلومات مزيدة في مادة كتـاب ما، أو تحت ضغط خاص أو لحـاجة ما، فرتبوهـا مرة ثانية أو ثالثـة أو رابعة حتى إنهـم جددوا مؤلفـاتهم لجعلهـا في أحسن شكل. فـلهذا الغرض عـملوا في مادتها تقـديمًا وتأخيرًا، وأصلحوا فـي عباراتها لغـة وبيانًا، وأضافوا إليها معلومات وافرة، حتى إنهم عدّلوها وفقًا لمعلومات حصلوا عليها إلى ما قبل مماتهم.

فهذا مـؤرخ بغداد ابن النجّار (ت٦٤٣هـ) مثـلاً قد قام بنشر كتـابه أكثر من مرة، وظلّ يضيف إليه إلىٰ قريب وفاته.

ولو نظرنا من هذه الناحية إلى آثار شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد ابن عثـمان الذهبي (ت٧٤٧هـ)، ودرسنا ما بين نسخ بعض كـتبـه من فوارق لوجدنا أنه جـدّدها وهذّبها أكثـر من مرة. فمـثلاً فرغ أبو عـبدالله الذهبي من تأليف «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام» أول مرة سنة ٧١٤هـ، وحوّل اهتمامـه بعد ذلك إلى تأليف كتـبه الأخرى، ثم أعاد النظر فـيه عام ٧٣٦هـ، وجدّد بعض أقـسامه أكـثر من مـرة، واضطر إلى نسخ بعض مجلداته مـجدَّدًا وتغيير أعدادها لكثرة ما أضاف من مادة، بعد انتهائه من المـرَّة الأولى.

ومن المعلوم أن لمعـجم شيـوخ الذهبي نسخـتين؛ نُقلت الأولى من نسـخة المؤلف المكتوبة سنة ٧٣٨هـ، وقد تضمّنت ١٢٧٨ ترجـمة، وظلّ عدد التراجم فيه ثابتًا حـتى سنة ٧٣٨ [نسخة أحمد الثالث رقم ٤٦٢]. وأما النسـخة الثانية

[دار الكتب المصرية، رقم ٦٥ مصطلح الحديث] فقد قرئت على المؤلف سنة ٧٤٥هـ، وهي تمثل آخر نشرة له، وفيها اختلاف عن الأولى(١).

وعرفنا مؤخرًا أن الذهبي قد رتب كتابه " طبقات القراء " غير مرة وأعاد فيه النظر، وأعاد سبكه مرات، طبقا لشواهد وقرائن سنذكرها في السطور التالية، وقد عمل ذلك على الأقل ثلاث مرات، وظلّ يضيف إليه معلومات حتى وفاته.

ولحسن حظ الكتاب بقيت نسخ لكل صيغة من صيغه الثلاث . وسوف نسوق وصفًا لكل منها فيما يأتي.

الصيغة الأولى للكتاب :

عندما فرغ الذهبي سنة ٧١٤هـ من تأليف كتابه تاريخ الإسلام للمرة الأولى لعلّه فكر في تدوين كتابه "طبقات القراء" . وفي هذه الفترة من الزمن كان خطيبًا بمسجد كفر بَطنا، قرب دمشق(٢)، فانتهز هذه الفرصة وظلّ في جمع مادة هذا الكتاب وتأليفه، وفرغ منه عام ٧١٨هـ أو قبله ببضعة أشهر.

وكانت تلك هي الصيغة الأولى للكتاب(٣).

وقد عرفنا لهذه الصيغة عدة نسخ؛ منها نسخة انتسخها شهابُ الدين أبوالعبّاس أحمد بن محمد بن يحيى بن نملة النابلسي، ثم الدمشقي التاجر، يعرف بابن السَّلعُوس (ت ٧٣٢هـ) في عدة مجالس آخرها تاسع جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبعمائة، وقرأها على الذهبي بحضرة أخيه، وأخذ في الوقت نفسه جميعَ مرويات الذهبي(٤).

وأما النسخة الثانية لهذه الصيغة، فهي التي نسخها شرف الدين أبو العالي

محمد بن أحمد بن أبي بكر بن يوسف المِزّي (٧٠١هـ ـ ٧٦٦هـ) بدمشق، وقرأها على الذهبي بحضرة جدّه زين الدين أبي بكر بن يوسف المزّي، الذي مات في ربيع الأول سنة ٧٣٦هـ[٥].

والنسخة الثالثة من هذه الصيغة موجودة في مكتبة كوبريلي (تركيا) برقم ١١٠٢[٦].

وتوجد النسخة الرابعة لهذه الصيغة في دار الكتب المصرية التي كانت في اعتقاد محققي "معرفة القراء" تحت بصر ابن الجزري فاستفاد منها في كتابه غاية النهاية[٧].

أما كتاب «طبقات القراء» أو «معرفة القراء الكبار في الطبقات والأعصار» للذهبي الذي طبع مراراً بتحقيق العلماء أو غير محقق إلى سنة ١٩٨٣م، فقد أُخذ عن نسخ الكتاب المنتمية إلى هذه الفصيلة لاغير، بل أُخذ عن نسخ غير جيدة، كما أخبرنا عن ذلك محققو الكتاب في نشرته سنة ١٩٨٤م التي جاءت محققة على طريقة حديثة معتمدين على نسخة الكتاب الثانية المشار إليها أعلاه، مع الاطلاع على طبعاته السالفة. ولكنهم لم يُخرجوا الكتاب الكامل هذه المرة كذلك، على الرغم من الجهد الكبير الذي بذله أولئك العلماء الكبار في هذا الفن. والسبب في هذا أن النسخ المعتمد عليها في هذه النشرة كانت من صيغة الكتاب الأولى؛ أي من فصيلة واحدة.

وقد كان محققو «معرفة القراء» لما شرعوا في تحقيقه سنة ١٩٨٤م يرجعون في كل ترجمة منه إلى كتاب «غاية النهاية في طبقات القراء» لابن الجزري الذي يعدّ مصدراً مهمّا من مصادر هذا الفن، والذي يحوي كل معلومات كتاب الذهبي[٨]، وكانوا يجدون في «الغاية» عبارات غير مطابقة لما في نسخ

«طبقات القراء» للذهبي، وأدركوا أن بعض معلومات ابن الجزري المستمدة من الذهبي لاتوجد في نسخ الكتاب التي بين أيديهم.

وقد أقلقهم هذا الأمر كثيراً، وفي بداية العمل ظنوا ذلك ناتجا عن اختلاف النسخ، ولكنّهم سرعان ماعرفوا أن النسخ التي تحت أبصارهم لاتوافق النسخة التي كانت أمام بصر ابن الجزري حين تأليفه "غاية النهاية" فبدؤوا بإثبات عبارة «لم نجده في النسخ» لِـمَـا كان موجودا في الغاية وهو غير موجود في نسخهم. وبهذه الاختلافات الكثيرة المهمة جدًا أدركوا أن نسخة ابن الجزري التي كانت بخط الذهبي من فصيلة مغايرة للنسخ التي يحققون الكتاب عليها.

وكان من واجب المحققين أن يُعـرّفوا بهـذا الاختـلاف الكبيـر في مقـدمة الكتاب، ولكنهم علي العكس من هذا حاولوا أن يثبتوا أن النسخة التي يحققون الكتاب عليها تطابق نسخة استفاد منها ابن الجزري في "الغاية".

والأغرب من ذلك أنهم لما رأوا أن النسخة التي وجدوها بدار الكتب المصرية تشتمل على شيء من الإضافات، وهي بخط الذهبي، ذكروا "أن النسخة التي استفاد منها ابن الجزري هي نفس النسخة التي توجد بالدار". مع أن الحقيقة غير ذلك؛ ثم أضافوا منها في معرفة القراء إضافات يسيرة ظانّين أنهم يستكملون كتاب معرفة القراء الكبار من كلّ النواحي.

ولإثبات هذه الفوارق ولجعل نسخة الدار ذات أهمية وشأن قالوا في مقدمة معرفة القراء:

"... أن النسخة [التي يحققون الكتاب عليها] كتبت قبل سنة ٧٢٦هـ، وبين هذا التاريخ وبين وفاة المؤلف مدة طويلة، لابدّ أنه عاود النظر فيها، فنقّح

شيئًــا لما جاء فيها وزاد زيادات يسـيرة تبينّاها من النسخــة المحفوظة بدار الكتب المصرية. . . مما نقله ابن الجزري في كتابه غاية النهاية الذي اعتمد [علي] نسخة المؤلف المكتوبة بخطه. "(٩)

صحيح أن الذهبي قد عاود النظر في الكتــاب، فنقّح ما جاء فيه، ولاشك في أنّه زاد عليه زيــادات، لكنها ليست يسيرة بل هي كثيرة، وليست في النسخة التي في الدار، بل في نسخة أخرى. وليس بصحــيح أن ابن الجزري قد استفاد من النسخــة التي في الدار. ولو أن النسخة التي اســتفاد منهــا ابن الجزري هي تلك التي في الدار، إذًا لماذا أثبت محققــو الكتاب عبارة "لـم نجده في النسخ " إشارة إلى الإفادات التي وجدوها عند ابن الجزري منقولـة عن الذهبي؟.

وكـان مـن واجـب المحققين كذلك أن ينيروا للقارئ طريق الصواب، ولكنهم لـم يتطرقوا إلى هذا الجانـب المهم للنسخة التي وصفوها بأنها "نسخة نفيـسـة".

الصيغـة الثانيـة للكـتاب :

لإدراك صيــغة الكتاب الثـانية لابدّ لنا أن ندرس صيغــته الثالثــة أولاً، لأنها ترشدنا بوضوح إلى نسخة الكتاب التي كانت قد دوّنت في صيغته الثانية.

لحسن حظ الكتاب أن نســخته في صيغــته الثانية قد حـفظها لنا ابن الجزري الذي استفاد من نســخة هذه الصيغة، ولم يدرك رحمه الله أنه قـد اعتمد على نسخة ناقصة من الكتاب.

وقبل أن أتطرق إلى صيغة الكتاب الثانية أقول: إن ابن الجزري لم يستفد من نسخة الصيغة الأولى للكتاب مطلقًــا، كما سبق أن وصلنا إليه، لما بين الكتاب المطبوع وما نُقـل منه في «غاية النهاية» من فوارق.

الصيغـة الثالثـة للكتاب :

عرفنا أن الذهبي كان يعـاود النظر مرة ثانية وثالثة أو رابعـة في كتابه، فلذا هذّب «طبقـات القراء» الذي كان قد أتمّ تألـيفه قبل عـام ٧١٨هـ مرة بين سنة ٧٢٥ وسنة ٧٢٩هـ. وتدل بعـض الاشـارات على أن الذهبي قـد عـمل قـبل صياغة الكتاب الأخيرة ذيلاً لـه[١٠]. ومن الطبيعي أنه ضمه أخيرًا إلى الكتاب لما أنشأه نشأة جديدة وسـبكه وتأنق في تهذيبه وتكميله فأفرغ فـيه ماكانت عنده من مادة لمختلف صيغ الكتاب وذيله، وذلك في ربيع الآخر عام.٧٣هـ. وكان ذلك تهذيبًا نهائيًا، فلم يعدّل فيه بعد تلك السنة سوى سني وفيات القراء الذين ماتـوا قـبل وفـاة الذهبي نفسه رحـمه الله، وذلك في سنة ٧٤٨هـ[١١]. وآخر ماأضـاف من سـنـة وفـاة كان فـــي شعـبان سـنة ٧٤٧هـ[١٢].وقد عرفنا هذا من نسخة الكتاب في صيغته الثالثة وهي الأخيرة التي وجدناها حديثًا[١٣].

فإذًا نستطيع أن نجزم أن النسخة التي بين أيدينا الآن نســخة أخيرة فهي بمثابة نشرة نهائية صنعها الذهبي لـ «طبقات القراء».

ونجد في هذه النسخة الأخيرة للكتاب أن عدد التراجم فيه قد تضاعف مرتين تقريبًا مقارنا بما ورد في نـسخة الكتاب في صيغته الأولى، كمـا أن فيها تقديما وتأخيـرا في كلّ ترجـمة على وجه الـعموم. وأمـا الزيادات والتكمـيلات في التراجـم فلا تُحصـى ولا تعد. وفي بعض التـراجم زيادات بقدر كـبيـر حتى أصبحت تلك التراجم أضعاف الأولى، وبعـضها قد تغيّر شكلا، وبجانب هذا فقد أصلح المـؤلف كتابه لغة وبيانا. فـفي الجملة كاد الكتاب في هـذه النسخة يكون جديدًا كليًا.

وأما عدد التراجم التي أضافها المؤلف على نسخة الكتاب في صيغته الأولى فتراه من خلال هذا الجدول:

رقم الطبقة	عدد التراجم في معرفة القراء	عدد التراجم في نسختنا	فوارق
١	٧	٧	٠٠
٢	١٢	١٣	+ ١
٣	١٩	١٨	− ١
٤	١٦	٢٦	+ ١٠
٥	٢١	٣٩	+ ١٨
٦	٥٠	٦٩	+ ١٩
٧	٥٨	٩٣	+ ٣٥
٨	٦٦	٨٥	+ ١٩
٩	٦٠	٨٢	+ ٢٢
١٠	٥٠	٨١	+ ٣١
١١	٤٤	٨٣	+ ٣٩
١٢	٥٧	١١٦	+ ٥٩
١٣	٧٠	١٢٧	+ ٥٧
١٤	٦٥	١٥٠	+ ٨٥
١٥	٤٠	٨٩	+ ٤٩
١٦	٨٠	١٢٧	+ ٤٧
١٧	٠٠	٣٩	+ ٣٩
١٨	١٩	٠٠	− ١٩
ذيل	٠٠	٢٥	+ ٢٥
المجموع	٧٣٤	١٢٦٦	٥٣٥

ومن البديهي أن التراجم المضافة قد زيد بعضها في صيغة الكتاب الثانية، والباقي في صيغته الأخيرة. كما أن نسخة الكتاب في صيغته الثانية غير

موجودة بصورة عامة(١٤) فلذا صار من العسير علينا أن نتعرف عدد التراجم المزيدة في الصيغة الثانية، ولكن الأمر ليس بمستحيل، لأنه لو دُرس كتاب غاية النهاية - الذي اشتمل على الصيغة الثانية - دراسة دقيقة وقوبل بالتراجم التي يشتمل عليها معرفة القراء ترجمة ترجمة لعُرف ما أضافه المؤلف من تراجم في تلك الصيغة الثانية للكتاب(١٥).

الصيغة الثانية للكتاب مرة أخرى :

عندما راجعت النسخة الأخيرة للكتاب على "غاية النهاية" الذي يحوى جميع الكتاب وجدتُ فوارق، ولكني لم أتنبه أولاً إلى الأمر الذي انكشف لي فيما بعد. ولم أكد أمضي في الأمر قُدُمًا لولا عبارة "لم نجده في النسخ" التي أوردها محققو «معرفة القراء» فيه مرات؛ فإن تلكم العبارة قادتني إلى الشك في نسخة الكتاب التي كانت عند ابن الجزري، ولما خطوتُ في المقابلة بينهما خطوات اتضح لي أن نسخة الكتاب التي استمد منها ابن الجزري مادة كتابه "غاية النهاية" كانت مغايرة لنسختنا، وأنها كانت مغايرة كذلك لمعرفة القراء التي نشرت محققة.

وبعد المقابلة بين نسختنا و "غاية النهاية" ظهرت لي أمور منها:

أ - وجدنا عديدًا من التراجم في نسخة الكتاب الأخيرة التي عندنا لم يرد أي ذكر لأسماء مترجَميها عند ابن الجزري(١٦) على الرغم من أنه أفرغ مادة كتابي «طبقات القراء» للداني و«طبقات القراء» للذهبي في كتابه، وأضاف عليهما من موارد أخرى كثيرة. فإذًا لو لم يذكر فيه قارئًا وردت ترجمته في نسختنا لكان معنى ذلك أن النسخة النهائية لكتاب طبقات القراء للذهبي لم تبلغه. وذلك الأمر يدل على نفاسة هذه النسخة الفريدة وأهميتها.

ب ـ أنّ ابن الجزري يأتي بمعلومات قليلة في تراجم عديدة هي في نسختنا مشتملة على إفادات وافرة زائدة عما عنده. ولا شك أنه لو وصلت تلك الإفادات إلى ابن الجزري لضمّها إلى كتابه.

إن التراجم غير المذكورة عن ابن الجزري، وقلّة المعلومات لديه في بعضها، كل ذلك يدل دلالة واضحة على أن ابن الجزري لم يتفق له الحصول على نسخة الكتاب النهائية للطبقات.

وفي السطور الآتية أوردنا شيئًا من الأمثلة في هذا الشأن مما يشير إلى فروق بين الصيغ الثلاث للكتاب التي انتهينا إلى تحديدها، وهي تؤيدنا فيما وصلنا إليه:

١ ـ ذكر ابن الجزري (١/ ٥٣٤ ـ ٥٣٥) في ترجمة أبي الحسّن الرّقي: "قال الحافظ أبو عبد الله: هذا شيخ مجهول، ماذكره إلا السَّامري، والعُهدة عليه. فاني لم أر الخطيب ذكره في تاريخه. وقد وقعت لي رواية السوسي من طريقه عاليةً".

وهذه العبارة غير موجودة في معرفة القراء (١/ ٣٤٦). وإن ابن الجزري قد اقتبسها من نسخة الكتاب في صيغته الثانية، وقد هذبها الذهبي في الصيغة الثالثة على النحو الآتي:

"قلت: هذا شيخ لايُعرف، ومايأتي به سوى السَّامري، والعُهدة عليه، ولاذكره الخطيب في "تاريخه". وقد وقعت لنا رواية السوسي من طريقه عاليةً" (ترجمة ٢١١).

٢ ـ لم يُذكر سنة وفاة جعفر بن سلمان الخراساني المشملائي في معرفة القراء (١/ ٣٠٠)، ولكن ابن الجزري (١/ ١٩٢) قد ذكرها عن الذهبي. حيث

إنها مذكورة في نسختنا (ترجمة ٣٠٤) ومضاف بعدها: "وسماع ابن غلبون منه في سنة تسع وعشرين وثلاثمائة ".

وقد ذكر ابن الجزري تاريخ الوفاة وسماع ابن غلبون من المشملائي، ولكنه لم يذكر السنة التي سمع ابن غلبون فيها من صاحب الترجمة. ولو أنه وجد هذه الإفادة لذكرها.

٣ - ورد في معرفة القراء (١/ ٣٣٩) ضمن ترجمة علي بن اسماعيل بن الحسن أبي علي البصري "أقرأ ببغداد". وأضاف المحققون بعده: مدّة، واشتهر ذكره، وطال عمره، وصنّف في القراءات، وبقي إلى حدود التسعين وثلاثمائة" من غاية النهاية (١/ ٥٢٧) لابن الجزري الذي نقلها عن الذهبي. وقالوا: لم نجدها في النسخ. والعبارة في نسختنا (ترجمة ٣٧١) هكذا:

" أقرأ ببغداد مدّة، واشتهر ذكره، وطال عمره، وكان ثقة. صنّف في القراءات، وبقي إلى حدود سنة تسعين وثلاثمائة، رحمه الله تعالى. وقال الأهوازي: قرأتُ عليه ببغداد سنة ست وثمانين وثلاثمائة ".

٤ - وردت في معرفة القراء (١/ ٤٠٢) ضمن ترجمة رشأ بن نظيف بن ماشاء الله عبارة : "قلت: وولد في حدود السبعين وثلاثمائة، وله دار موقوفة على القراء إلى [جانب] السّميساطية بدمشق". وقال المحققون في الحاشية: مابين المعقوفتين لم ترد في الأصول، ولكن نقلها ابن الجزري عند الذهبي (١/ ٢٨٤).

وحسّن الذهبي هذه العبارة في الصيغة الأخيرة للكتاب (ترجمة ٤٨٩) فقال: " وتوفي في شهر المحرم سنة أربع وأربعين وأربعمائة. قلت: مات في عشر الثمانين، وداره معروفة إلى جانب السميساطية بدمشق، وقفها على المقرئين".

٥ ـ جاءت في معرفة القراء (١/ ٤٥٤) في ترجمة محمد بن الفرج البطليوسي عبارة: "وما علمتُ أحدا مثله جمع الأخذ عن هؤلاء ". وهي عند ابن الجزري (٢/ ٢٦٥) : "قال الحافظ أبو عبد الله: وما علمت أحدا جمع الأخذ عن هؤلاء " . وهي في شكلها النهائي في نسختنا (ترجمة ٥٧٨): "وما علمت أحدًا جمع الأخذ عن هؤلاء سواه، وهو ضعيف " .

٦ ـ وقد وردت ترجمة عُبيد الله بن عمرو بن هشام في معرفة القراء (١/ ٥٢١) مرة، ولكن يقول ابن الجزري في غاية النهاية (١/ ٤٩١): "وقد جعله الحافظ أبو عبد الله اثنين، فذكره في الطبقتين، وسمّى أباه في الثانية غير عمر، وكذلك جعل شيخه عون الله اثنين " .

وعندما رجعت إلى معرفة القراء وجدت فيه ترجمة واحدة كما سبق أن أشرت. وكذا ورد في نسختنا ترجمة واحدة (ترجمة ٧١٦)، ولكنها تفيدنا بذكر أستاذه عون الله، وتضيف عليه: "وكان شيخه عون الله من تلامذة أبي عبد الله الطرفي" .

٧ ـ وتتفق نسختنا (ترجمة ٧٣١) في إيراد ترجمة يوسُف بن المبارك بن محمد بن أبي شيبة مرة واحدة مع معرفة القراء (٢/ ٥٣٠-٥٣١)، وقد وردت في نسخة الصيغة الثانية للكتاب مرتين، حيث يشير إليهما ابن الجزري (٢/ ٤٠٣) ويقول: "وقد ترجمه الذهبي بترجمتين في الطبقة الثانية عشرة والثالثة عشرة، وبسط الثانية أكثر. وزاد في الأولى أنه كان وكيلاً بباب القضاة. وقال في الثالثة: مات في رجب سنة سبعين وخمسمائة، على ماذكره الدبيثي" .

ووردت كلتا الفائدتين في نسختنا في مكان واحد.

٨ ـ وورد في معرفـة القراء (٢/ ٥٥٥) في نهاية ترجمـة يوسف بن عبد الله ابن سعـيد، أبي عمـر بن عياد اللُّرلّـي عبارة: "... وصنف التـصانيف". ولكن ابن الجـزري ينقل عن الذهبي عـبارة أطـول قائلا: "قـال الذهبي... وصنّف التصـانيف، وبعُد صيـته. سُقنا أخبـاره في التاريخ الكبيـر. مات سنة خمس وسبعين وخمسمائة، وله سبعون سنة" (٣/ ٣٩٧).

وقـد هذّب الذهبي تلك الفقـرة في نسـخة الكتـاب النهائيـة فكتب: "... وصنّف التصـانيف، واشتـهر اسمـه، وبعُد صـيته. سـقنا أخبـاره في التاريخ الكبير. عاش سبعين سنة. مات سنة خـمس وسبعين وخمسمائة، بالأندلـس" (انظر ترجمة ٧٨٥).

٩ ـ لم يذكر الذهبي اسم أخي عبد الله بن محمد بن عبدالوارث العَدل في ترجمـته أولاً (انظر: معـرفة القراء ٢/ ٦٦١)، ولكنه ذكـره في صيغـة الكتاب الثانيـة ضمن ترجمة القـارئ المذكور نفسه، فـقال: "وله أخ له اسمه عـبدالله أيضًـا. مـات سنة خـمس وثلاثين، وقـال: وبقى هـو إلى سنة أربع وسـتين وستمـائة، قلت (بياض)". (غاية النهاية ١/ ٤٥٣). وزاد علـى ذلك (ترجمة ١٠٦٦) فقال: "قلت: وله أخ، مات سنة خـمس وثلاثين وستمائة، وهو أبو الحسن عبد الله المعروف بابن الأزرق، وهو لقب لجدّ أبيه".

١٠ ـ اختتم الذهبي في صيغة كتـابه الأولى (معرفة القراء ٢/ ٧١٦) ترجمة حُسَين بن سُلَـيمان بن فـزارة أبي عبد الـله الكفري بذكر تلامـيذه، فـذكر في آخرهم: "شـرف الدين محمـد بن أحمد بن الشـيخ زين الدين أبي بكر المزّي الحريري"، ولـم يزد شيئًـا بعده. ولما عـاود فيـه النظر ثانيًا أضـاف في آخـر الترجـمة مـا يأتي: "وأضرّ آخـر عمره، ولزم مـنزله حتى توفي في جـمادى

الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة "(غاية النهاية ١/ ٢٤١). وبعد أن تأنق في تهذيبه قال: " أضرّ بأخرة، ولزم المنزل، عوضه الله الجنّة. وقد عرض «الشاطبية» على الإمام أبي شامة. توفى في جمادى الأولى سنة تسع عشرة وسبعمائة. سمعتُ منه وجمعتُ عليه بعض الختمة، وقطعت. وكان خيرًا، متواضعًا، كيّسًا "(انظر ترجمة ١١٧٥).

ولعله قد تبين من خلال الأمثلة الواردة آنفا ـ وهي قليل من كثير ـ أن ابن الجزري كانت لديه نسخة من طبقات القراء للذهبي أحسن حالا من صيغة النسخ التي نُشِر الكتاب عليها إلى الآن، وهي في مقام أقل من النسخة التي وجدناها أخيرًا.

ومن المؤكد أنْ قد كان لكلّ الصيغ الثلاث نسخ لدى العلماء. فمن صيغة الكتاب الأولى وجدنا النسخ التي ذكرناها آنفًا، ومن صيغته الثانية كانت نسخة ابن الجزري حين تأليفه غاية النهاية. وأما صيغته الثالثة الأخيرة فقد وجدناها الآن ؛ وهي فيما يظهر فريدة، حيث لم نعرف حتى اليوم مثيلتها فيما تصفحنا من فهارس للمكتبات أو سألنا عنه أصدقاءنا في العالم كلّه. [١٧]

* * *

إلى أي حد تكبر نسختُنا نسخةَ «معرفة القراء» المطبوعة؟.

لعل الجواب بان من خلال الجدول السابق، وذلك من حيث عدد التراجم، ولكنني أسوق في السطور الآتية أمثلة توضح مدى الزيادات التي قام بها المؤلف في النسخة الأخيرة للكتاب ضمن التراجم الواردة في معرفة القراء. فعلى سبيل المثال لا الحصر أقول:

١ ـ في معرفة القراء (١/ ٢٣٦) ترجمة للعبّاس بن الفضل بن شاذان لاتزيد

عن عشـرة أسطر، وهي في نسختنـا (ترجمة ١٨٨) أزيد من عـشرين سطرًا، وفي آخرها فقرة هامة هي:

" قلت: كان عاليًـا الإسناد في الكتاب والسنة. قد أدرك محـمد بن غالب صاحب شُجَاع البلخي، وقرأ عليه. وممّن قرأ عليه أبو العباس أحمد بن محمد العجلي - شيخ لأبي علي الأهوازي، وأبو العباس أحمـد بن محمد بن عيسى شيخ للخُزَاعي، وعلي بن أحمد بن صالح القَزْويني.

قال الخليلي: مات بالري سنة احدى عشرة وثلاثمائة.

أخبـرنا أحمـد بن تاج الأمناء، قال أنبـأنا عبـدالعزيز بن مـحمـد، قال انا أبوالقاسم الشّحابي سنة سبـعة وعشرين وخمسمائة بِمقـرأة، قال انا محمد بن عبدالرحمن الكَنْجَـرودي، قال انا محمد بن أحمد الحَـيري، قال انا أبوالقاسم العبّاس بن الفَـضْل بن شاذان، قال: حدثنا علي بن عبـد المؤمن، قال: حدثنا المحاربي، عن أبي سعـد البقّال، عن عبد الرحـمن بن الأسود، عن أبيه، عن عائشة رضي الله تعالى عنها حديث الافك."

٢ ـ أورد الذهبي في معرفـة القراء (١/ ٢٤٠) ترجمة مختـصرة للقاسم بن زكـريا بن يحيى المطرّز. وقـد جاءت مطولـة في نسخـتنا (ترجمـة ١٩٨) فلم يقتصر فيها المؤلف على التقديم والتـأخير بل أضاف إفادات عديدة بين فقراتها، وفي خرها إفادة مهمة، هي قوله:

" قلت: مايلام من حطّ علي الأهوازي فـإنه كنى قاسما أبا مـحمد، وزعم أنه تلا على علي بن الحـسين الفضائري، أحـد المجهولين. وقـال: قرأتُ على القاسم بن زكريا بن يحيى المقرئ في سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة. وهذه فضيحة . وقد ينتصر متعصب للأهوازي فيـقول: هذا مقرئ آخر وافق اسمه واسم أبيه

المطرَّز، وتأخّر، فهذا شيء لاوجود له، والله تعالى أعلم".

٣ ـ وردت ترجمة الحسّن بن الحُسَين بن علي الصوّاف في معرفة القراء (١/ ٢٤٢ ـ ٢٤٢) مختصرة جدًا. وقد أضاف المؤلف إليها إفادات عديدة في نسختنا، واختتمها (ترجمة. ٢٠) بهذه العبارة:

" قال أحمد بن كامل القاضي، قال لي أبو علي الصوّاف كنت أختم القرآن، وأنا راكع، فقلت: هذا لايجوز. قال: ماكنت أعلم.

وعن العزّال، قال رأيت في النوم كأنّ قائلاً يقول: ياملك الموت اقبض روح الرجل الصالح، يعني أبا علي الصوّاف. قال فخرجت في السحر فاذا هو قد مات. وكان موته في رمضان ".

٤ ـ أورد الذهبي أولاً في معرفة القراء (١/ ٢٤٢-٢٤٣) ترجمة سعيد بن عبدالرحيم أبي عثمان العزير في سطور تعدّ على الأصابع، ولكنّه لدى حصوله على معلومات وافرة فيما بعد، أضاف إلى ترجمته إفادات كثيرة، في نسختنا هذه (الترجمة ٢٠٤)، وختمها بهذه الفقرة:

" وفي كتاب القراء لأبي عَمرو الداني: حدّثنا علي بن محمد بن خلف، قال انا أبوالفتح بن بدُهْن ـ فضبطه بسكون الهاء ـ ثم قال الداني سمعت الحسَن ابن سُلّيمان يقول سمعتُ أبا الفتح ابن بدُهْن يقول كنّا نقرأ على أبي عثمان الضرير خفيةً من ابن مجاهد، وكان لايُقرئ أحدا إلاّ خمسين آية، فكنتُ إذا قرأت عليه الخمسين، قطع عليّ، فقمت عنه، ثم آتيه بعد ذلك فابتدئ عليه، وأخالف بصوتي وأبدّل حلقي فلا يفطن لي، فأقرأ خمسين آية أخرى، ففعلتُ ذلك كثيرًا، حتى ختمت عليه ختمة. وبلغت في الثانية إلى "الممتحنة"، ففطن لي، وقال: أنت أبو الحَلاقِيم".

٥ ـ أورد الذهبي ترجمة هارون بن موسى بن شريك الأخفش في معرفة القراء (١/ ٢٤٧ ـ ٢٤٨)، أضاف معلومات وافرة وجديدة في نسختنا (الترجمة ٢١٥)، فقال:

"أنبؤونا عن الخشوعي عن أبي عبدالله الرازي، قال انا أبوالقاسم الفارسي، قال انا أبوأحمد بن الناصح، قال: حدثنا هارون الأخفش إملاءً سنة إحدى وتسعين ومائتين، قال: حدثنا أبو العبّاس سلاّم بن سُلَيمان المدائني الضرير، قال: حدثنا أبو عمرو بن العلاء، عن نافع مولى ابن عمر، قال قرأ رسول الله ﷺ في سورة الأنفال ﴿ وعلم أن فيكم ضُعْفا ﴾ برفع الضاد. قال لي الأخفش: هكذا هو مرسل".

٦ ـ في ترجمة يوسُف بن يعقوب الإمام أبي بكر الواسطي أورد الذهبي ترجمة في ١٣ سطرًا، ثم أضاف إليها إضافات في النسخة الأخيرة (الترجمة ٢٢٣)، وختمها بفقرة طويلة في آخرها كالآتي:

" أخبرنا محمد بن عبدالسلام التّمِيمي، وأحمد بن هِبة الله العساكري عن زَيْنَب بنت عبد الرحمن، قال انا زاهر بن طار الْمَسْتَمْلِي، قال انا محمد بن عبدالرحمن الكَنْجرُوْدي، قال انا محمد بن محمد الحافظ، قال: حَدّثنا يوسُف ابن يعقوب المقرئ بواسط، قال: حدثنا محمد بن خالد، قال: حدثنا فرج بن فضالة عن لقمان بن عامر عن أبي أسامة عن السُّلَمي وهو عمرو بن عَبْسَة رضي الله تعالى عنه، قال: لقد رأيتني وأنا ربع الإسلام. قلتُ: لو حدثتنا حديثا سمعتَه من رسول الله ﷺ ليس فيه انتقاص ولا وَهن، قال سمعتُه يقول: « مَن وُلِدَ له ثلاثة في الإسلام فماتوا قبل أن يبلغوا الحِنث أدخله الله تعالى الجنة بفضل رحمته إيّاهم. ومَن شاب شيبة في الإسلام كانت له نورًا

يوم القيامة. ومَن رمى بسهم في سبيل الله فبلغ به العدو أصاب أو أخطأ كان له كعتق رقبة مؤمنة أعتق الله تعالى بكلّ عضو منها عضوا منه من النَّار. ومَن أنفق نفقةً في سبيل الله فان للجنّة ثمانية أبواب دعَتْه مجبة الجنة يدخل من أي أبواب الجنة شاء ».

فرجٌ لين الحديث " .

٧ ـ أضاف الذهبي في نسخة الكتاب الأخيرة فقرة طويلة في آخر ترجمة الحسَن بن داود بن الحسن القرشي النقّار، الواردة في معرفة القراء (١/ ٣٠٤) في سطور معدودة، والاضافة مفيدة جدا، وقد جاءت (في الترجمة ٣١٣) هكذا:

"وقال الأهوازي في كتاب "الاتّضاح" ، له: ثنا عبدالله بن الحُسَين الزيدي، قال حدثني أبي حدثنا الحسن بن داود النقَّار: كنتُ أقرئ بالكوفة، وكان ناس مجتمعون بقرب حلقتي فيقولون: هذا الشيخ مقرئ الناس من دهر، ولايأجره الله تعالى لأن القرآن بُدِّل وغُيِّر، فتألمتُ، وشقّ ذلك عليّ، فرأيت النبي ﷺ فشكوتُ إليه قولهم، فقال لي: اقرأ، فقرأتُ عليه القرآن من الحمد إلى الناس. فقال: هكذا أُنزل عليَّ، فابتهجتُ فسجدتُ لله شكرًا. وحدثتُ أصحابي، وقلت: لا تُقيةَ بعد اليوم. فلما جاء أولئك وخاضوا في حديثي قمتُ وأصحابي، وقلت: نبيُّ الله ﷺ يقول لي: هكذا أنزل، وهكذا أقرأتُ الناس، ووقعتُ فيهم أنا وأصحابي بنعالنا، فلم يعودوا إلى ذلك.

قلتُ: توفي النقَّار بعد سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة، سمع منه الحاكم وغيره. ويرى عن إبراهيم بن عبد الله القصّار. مات في عشر التسعين، رحمه الله تعالى " .

وقد سقنا هذه الإضافات القصيرة عمدا لضيق المكان، وهي للتمثيل من مكان واحد تقريبًا، وإلا فهي كثيرة في الكتاب كلّه.

ولايفوتنا أن نذكر أن الذهبي جدّد كثيرا من التراجم في نسختنا كترجمة الدارقطني (رقمها ٣٨٨)، والداني (رقمها ٤٩٥)، فأصبحت تلك التراجم جديدة كليا ومختلفة من حيث الحجم عن التراجم الأولى الواردة في «معرفة القراء».

* * *

وإن وصف الفروق التي بين نسخة الصيغة الأولى والأخيرة للكتاب ليس بسهل، ولايستطيع أحد أن يحدده في سطور. وماسُقناه آنفا من الأمثلة يُظهر الفروق التي بين المطبوع والنسخة التي وجدناها للكتاب. ومن الواضح أن الكتاب قد تغيرّ تغيرًا أساسيا. وأما الفوارق التي عرفتها من خلال مقابلة معرفة القراء بنسختنا فكثيرة، أستطيع أن أرسم خطوطها البارزة فيما يلي:

١ ـ قد تغيرّ عدد الطبقات، لأن معرفة القراء يشتمل على ١٨ طبقة(١٨)، ونسختنا تحتوي على ١٧ طبقة، وفي آخرها ذيل.

٢ ـ أضيف في كل طبقة تقريبًا عديد من التراجم الجديدة، حتى أصبحت بعض الطبقات ضعفي الحجم السابق أو أكثر من حيث عدد التراجم.

٣ ـ بدّل الذهبي طبقة بعض المترجمين.

٤ ـ حذف المؤلف من نسختنا هذه التراجم المكررة في معرفة القراء (١٩).

٥ ـ أسقط الذهبي من النسخة النهائية التراجم التي لم يرها تطابق شروطه لانضمامها إلى كتابه(٢٠).

٦ ـ قدم المؤلف وأخر في أكثر التراجم، وأضاف زيادات كثيرة يصعب حصرها.

٧ ـ من الغريب أن الذهبي قد غيرّ في نسخة الكتاب النهائية عناوين أكثر المترجمين، واختار مكانها عناوي لهم اشتهروا بها في أوساط العلماء والأسلاف آنذاك.

وأترك هذه الناحية من النسخة وألفت أنظاركم إلى أمور أخرى للكتاب.

ـ ٢ ـ

فكرة الكتاب :

إن الذهبي لما باشر العمل في كتاب «طبقات القراء» أدرك أن القراء وحملة القرآن كثيرون على امتداد القرون، وهو لن يستطيع أن يحصيهم أو يذكرهم كلَّهم في الكتاب. لذا حدّد بعض الضوابط التي تحكم إيراد ترجمة لأي من القراء في كتابه. ونلخص فيما يلي تلك الضوابط كما أُستنطتْ من الكتاب:

أ ـ إنه ضمّ تراجم المقرئين الذين قرؤوا على القراء المشهورين بقراءات شهيرة، وقرأ عليهم القراء في زمانهم، واستمر الإسناد والروايات تلك حتى عصر الذهبي، كما أشار في آخر الطبقة الخامسة من طبقات القراء، فقال:

" وفي هذه الطبقة جماعة كثيرة من المقرئين ليسوا في الاشتهار كمن ذكرت، ولا اتصلت بنا طرقهم، وانما العناية بمن تصدّى للرواية " .

ب ـ وأما القراء من الأسلاف الذين لم تتصل قراءتهم إلى عهد الذهبي، بمن فيهم الصحابة الكبار المشهورون الذين جمعوا القرآن ممن لم تستمر قراءتهم، فلم يترجم لهم الذهبي في طبقات القراء ؛ ونراه يقول في آخر الطبقة الأولى:

"وقد جمع القرآن غيرهم من الصحابة كمعاذ بن جبل، وأبي وزيد، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبدالله بن عمر، وعتبة بن عامر، لكن لم تتصل بنا قراءتهم، فلهذا اقتصرتُ على هؤلاء السبعة رضي الله عنهم".

جـ - ومَن اشتهر من السابقين بأسانيدهم، وكثّر الناس الأخذ عنهم فقد ضّمن الذهبي تراجمهم في كتابه. وأشار إلى هذا الضابط في آخر الطبقة الثانية:

" فهؤلاء الذين دارت عليهم أسانيد القراءات المشهورة ورواياتهم " ويشرح قوله ذاك ماذكره في آخر الطبقة الثالثة:

" فهؤلاء الأئمة الثمانية عشر قطرة من بحر بالنسبة إلى حملة القرآن في زمانهم، اقتصرت على هؤلاء لدوران الأسانيد في القراءات عليهم".

د - لم يذكر الذهبي القراء المشهورين الذين لم يُعرف أساتذتهم أو مَن قرؤوا عليهم. وقد ألمح إلى هذا الشرط في ترجمة حسين بن عبد الواحد الحذاء (ترجمة ٤٤٥).

* * *

والقراء الذين لم يندرجوا تحت تلك الضوابط، لم يجدوا مكانًا في "طبقات القراء" للذهبي إلا نادرا؛ وقد ذكر الذهبي سبب انضمامهم، لكي لايظن ظانٌّ أنه لم يراع ضوابطه، كما في ترجمة المفضَّل بن سَلَمة (ترجمة ٥٨)، إذ قال:

"قلت: ماذا مَن شرط كتابنا، ولكن ذكرتُه للتمييز بينه وبين المفضل الضبي".

وقد ذكر ترجمة لقارئ لم يكن من شرط كتابه، فصرّح بذلك مبينا السبب، فقال:

" وانقطعتْ رواياتُه، وإنما أوردتُه أُسوةَ أمثالِه، وإن كنتُ لم أستوعب هذا الضرب؛ فلو استوعبتُ تراجم مَن تلا بالروايات أو ببعضها، ولم ينقل إلينا طرقُه لبلغ كتابي عدّة مجلدات. " (ترجمة ٤٤٢).

ـ ٣ ـ

مخطوطة الكتاب:

تمثل هذه النسخةُ الكتابَ في صيغته الأخيرة، وهي في الحقيقة شكل الكتاب النهائي الكامل، بل هي أصح أشكاله. وبنشر هذه النسخة أجدني فخوراً بتقديم «طبقات القراء» للذهبي كاملا، قدر جهدي.

وكفى بهذه النسخة فخراً أن ناسخها كان عالـمًا جليلاً من علماء القرن التاسع الهجري، وهو محمد بن محمد بن الحسين محمد بن فهد الهاشمي (٧٨٧هـ ـ ٨٧١هـ)، الذي فاق معاصريه بعلمه الغزير، وبزّ أقرانه عالما بالحديث ورجاله. وألّف تأليفات عديدة في العلوم الإسلامية مثل «لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ» للذهبي[٢١]. وقد انتسخ هذه النسخة من أصل الذهبي مباشرة في ١٣ يوما، كان آخرها ١٤ جمادى الآخرة سنة ٨١٧هـ، جالسا في بيته تجاه الكعبة المشرفة. وقابلها بأصلها وصححها[٢٢]. وانتهز الفرصة ثانية فقرأها أمام أهل بيته، وقابلها مع مثيلتها مرة ثانية في ١٤ مجلسا من ربيع الثاني سنة ٨٢٤هـ إلى المحرم الحرام سنة ٨٢٥هـ [٢٣].

والنسخة تشتمل على ١٤٨ ورقة، مسطرتها ٢٧ × ١٨ سم، وفي صفحتها ٢٧ سطرًا، وبعض السطور قد طغت أفقيا مائلة إلى الأعلى على الهوامش، ويظن أنها قد زيدت على النسخة، وليس الأمر كذلك، بل هذا من دأب الناسخ.

وقد طارت لسوء الحظ من الكتاب ورقتان: الأولى والسابعة، كما مزقت من أعلاها وأسفلها أربع أوراق، وهي من الورقة الثانية إلى الخامسة، ولكن التمزيق لم يذهب بكثير من المادة. أما الورقتان المفقودتان فأولهما كانت تحوي عنوان الكتاب على وجهها، وعلى ظهرها ـ فيما نعتقد ـ مقدمة وجيزة للكتاب، مع قائمة مصادره، كما أوردها الذهبي في مقدمة كتابه «تاريخ الإسلام»، وبعدها قسط من ترجمة عثمان بن عفان رضي الله عنه.

والورقة السابعة كانت تحتوي على شيء من ترجمة أبي عبدالرحمن السلمي، وتراجم كاملة لهؤلاء: عبدالله بن عياش، وأبي رجاء، وأبي الأسود الدؤلي، وأبي العالية الرياحي، وبعضٍ من ترجمة يحيى بن وثّاب.

والنسخة الباقية صحيحة وسليمة، إلا أن ورقتين من الآخر ـ فيهما تراجم مذيّلة ـ قد التصقتا شيئًا ما من داخلهما.

على الرغم من أن النسخة كانت قد كُتبت دقيقةً جدًا فهي صحيحة وليس بها أيّ عيب من ناحية الكتابة أو اللُّغة. وقد كتب ابنُ فهد عناوين التراجم بالحمرة، والتراجم بالحبر الأسود. وكثيرًا ما كتب عباراتِ "أنشدنا"، "وأخبرنا"، "وقلت" في التراجم بالحمرة.

ولخطّ ابن فهد سمةٌ خاصة، فهو يكتب عددًا من الحروف المعجمة دون إعجام ؛ فوجدنا قسطا من أسماء العلماء والقراء وأوصافهم وأسماء البلدان لم تعجم، كما أنه لم يضبطها إلا نادرا، ونستطيع أن نعدد ذلك على الأصابع.

والظاهرة الأخرى التي لم نرها إلا لديه أنه يكتب كلمة "بن" ملحقة بآخر الأسماء التي تليها، خاصة الأسماء المنتهية بحرف دال (كأحمد ومحمد)، أو نون" (كالحسن)، أو ياء (كعلي وموسى)، كما أنه يكتب اسم محمد وأحمد

على هيئة مختصّة به (انظر اللوحة الثانية).

ووجدنا على هامش النسخة تراجم ـ في ٢٤ صفحة ـ لم تكتب في الوهلة الأولى، وكتبها ابن فهد لدى مقابلة النسخة بأصلها، فإنه وجدها غير منسوخة، ولم يكتبها على أوراق منفصلة بل ضمها إلى الأوراق المكتوبة، حسب ترتيبها.

إن معرفة ناسخ النسخة وخبرته في نقل الكتب ـ وهي ميزة عظيمة لهذه النسخة ـ قد أضاف إلى شأن نسختنا وأهميتها شيئًا كثيرًا.

وفي آخر هذه النسخة ذيلٌ ،نقله ابن فهد وأفادنا بأنه " منقول من خط الذهبي، ومن فوائد الحافظ عفيف الدين المطري" . وهو يشتمل على سبع صفحات وفيها ٢٥ ترجمة. فربما كان مترجَمو هذا الذيل من معاصري الذهبي والمطري. ونظرا إلى أن ورقتي النسخة الأخيرتين التصقتا من داخل المجلد، كما سبق أن ذكرت، فقد وجدتُ صعوبةا في قراءتهما، فحاولت استكمال هذا النقص من موارد أخرى.

ولما أمعنت النظر في هذه التراجم المذيلة رأيت فيها علامة مدورة (ه) في كل ترجمة تقريبًا. وأعتقد أنها من وضْع المطري الذي أضاف إلى عبارات الذهبي، وهي تعني أن الترجمة إلى العلامة من صنع الذهبي، وما بعدها أضافه المطري.

من المحتمل أن النسخة هذه قد مكثت عند أسرة ابن فهد وقرأها العلماء من داخل الأسرة ومن خارجها. ولو لم تفقد الورقة الأولى من النسخة لعرفنا جملة تلك السّماعات، أو على الأقل علمنا منها أسماء المعنيين بهذه النسخة.

وقد عرفنا من طريق آخر عالـمًا من علماء هذه الأسرة اعتنى بهذا الكتاب، وهو عز الدين عـبدالعزيز بن الحافظ نجم الدين عـمر بن محمد بـن فهد المكّي الهاشـمي (ت ٩٤٤هـ) ومن الممكن أنه نظر في هذه النسـخة، واسـتفاد مـنها ورتّب الكتاب على حـروف المعجم(٢٤) حيث إن الكتاب مـرتب على الطبقات حسب سني وفيات القراء، ودون رعاية لأسماء القراء.

وهناك عالم آخـر يسمى ابن الحُـسباني أحـمد بن إسمـاعيل بن خليـفة بن عبدالعال الدمشقي (ت ٨١٥هـ) عنى بهذا الكتاب، فرتبه(٢٥)، ولعله رتبه وفقًا لحروف المعجم.

* * *

- ٤ -

العثور على هذه النسخـة :

سافـر كثير من كـتب التراث كما يـسافر الرجال من مكان إلى آخـر؛ فربّ كتاب فـي الفقه أُلّف في العراق، انتـهى به السير في المغرب، وآخـر في اللّغة والأدب كتبه كاتب بمكة المكرمة قد انتهى إلى الهند. هكذا نسخت هذه النسخة بجوار الكعبـة المشرفة وقد سافرت، بعـد أن تواردت على أيدي علماء لانعرف أسماءهم إلى الهند، وانتهت إلى مكتبة صغيرة متواضعة في مدرسة محمد علي المكمدي توجـد الآن في باكستان. وكانت هذه المدرسـة نمطا لمدارس الأسلاف ودارا لنشر العلم نحو قرن، وترك مؤسـسهاخلفه هذه المكتبة(٢٦). وقد وصلتْ نسختُنا إلى هذه المكتبة.

ومنذ بضعة أعوام استرعت انتباهي مخطوطات عربية في باكستان، وذلك لما رأيت قلّة عناية العلماء بها، فعزمت على فهرستها وإخراجها من مكامنها وعرْضها على محبي التراث العربي الإسلامي، لأنها مهملة منذ أمد بعيد. فسافرت في عام ١٩٨٨م إلى عدة مكتبات شخصية تحتوي على كنوز ثمينة من مخطوطات عربية وفارسية، ومن بينها وردتُ المكتبة المشار إليها أعلاه (في مدرسة محمد علي المكمدي)· وأذهلتني حالتها الرديئة، فجعلتُ أقلب مخطوطاتها المشؤومة فوجدت فيها عدة مخطوطات تُعدّ فريدة في العالم ومن بين النفائس. ومن بينها وجدت هذه النسخة لطبقات القراء، وقد كانت مجهولة الاسم مهملة، فنفضت عنها الغبار ورجعت بها إلى مكتبي في إسلام آباد.

ولما علمت من آخرها أنها طبقات القراء للذهبي أخذت جمع معلومات عن نشراته فوجدت نسخة الكتاب المطبوعة بتحقيق العلماء الثلاثة الكبار، فتركت هذه النسخة ناحية، لأني كنت لا أرى حاجة إلى تحقيق الكتاب بعد عمل الفضلاء الجهابذة. ولكن لحسن الحظ كنت أقلب النظر يوما في النسخة فوجدتُ فيها إفادات لم أقرأها في معرفة القراء الكبار، فظننتها نسخة مغايرة شيئًا ما عن المطبوع، فجعلت أقابل بين المطبوع وهذه النسخة. ولدى المقابلة دهشتُ عندما وجدتُ اختلافًا كبيرًا بينهما، وزيادات كثيرة. فعزمت أولاً على أن أنشر تلك الزيادات والاختلافات. ولماجمعتُها من بضعة صفحات من النسخة المخطوطة وجدت أنها أضعاف التراجم الواردة في المطبوع، فعدلتُ عن الفكرة وجعلت أنسخ النسخة من جديد. ولما انتهيت منها وجدتُ فيها كتابًا جديدًا يختلف عن «معرفة القراء الكبار»·

عـنـوان الكـتـاب :

يعدّ عنوان كتابٍ ما من بين عناوينه المختلفة موثّقا وصحيحا إذا اختاره مؤلفه أخيرًا أو أدرج ذكـره في الكتب التي ألفها بعـده على الأقل. ومن المعروف أن عددًا من كتب السَّلف قد اختُلِف في عـناوينها، فحاول دارسوها أن يصلوا إلى عناوينها الصحيحة بعد دراسات وافية.

١ ـ فمـثلاً هذا الحسَن بن محـمد بن الحسَن الصـاغاني (٥٧٧هـ ـ ٦٥٠هـ) الذي ألّف عددًا من الكتب، سمّط مقصورة ابن دريد، وسمّاه «القلادة السمطية في توشيـح الدريدية »، ثم شرحـه وعنوَنه شرح القـلادة السمطية فـي توشيح الدريدية. وأخـذ تلاميـذه عنوان ذلك التـسمـيط وشـرْحه وذكـروه في تراجم الصاغاني. ولكنه قـد اختار اسما آخر للكتـاب هو: «المرتجل في شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية» في نسخة الكتاب التـي كتبها تلميذه شرف الدين عبـدالمؤمن بن خلف الدمياطي (ت٧٠٥هــ)، وقرأها على المؤلف قبـيل وفاته بيومين. فلذلك اختار محقق الكتاب عنوانه الأخير. [(٢٧)]

٣ ـ والذهــبي نفسه بدل عناوين كتبه، وعرفنا منها عنوان «تاريخ الإسلام»؛ فهو سماه أولاً: " تاريخ الإسلام وطبقـات المشاهير والأعلام"، ثم عاد وجعل كلمة "وفيات" بدلا من "طبقات" في النسخ التي عاود فيها النظر مرة ثانية أو ثالثة كما يظهر من نسخ الكتاب[(٢٨)].

٤ ـ ويظهـر من اختـلاف عنوان «طبـقات القـراء» للذهبي أيضًـا أنه سمـاه "معـرفة القراء الكبـار على الطبقات والأعصـار" أولاً، كما نراه على جـميع النسخ المذكـورة أعلاه للـكتاب من صـيغـتـه الأولى. وقد رأى صــلاح الدين

الصفـدي تلميـذ الذهبي عنوان الكتـاب في نسخـه المذكورة. ولو رأى نسـخة الكتاب النهـائية لكانت النتيجـة عنده غير ما نجدها اليـوم من ذكره في «الوافي بالوفيات».

فأيّ عنوان صحيح للكتاب؟.

كـان يكفي لحلّ هذه المشكلة وجـود إشارة في الورقـة الأولى من المخطوطة لكن تلك الصـفحة ـ لسـوء الحظ ـ مفقـودة.. وقد حل المشكلةَ المؤلفُ نفسـه بإيراده عنوان الكتـاب في ترجمة ابن السَّلعـوس (ترجمـة ١٢٢٦) الذي انتسخ الكتاب في سنـة ٧٢٥هـ من نسختـه في صيغـته الأولى، وأثبت عليـها عنوان الكتاب: مـعرفـة القراء الكبار علـى الطبقات والأعـصار. وقـد ذكر الذهبي العنوان الذي اختـاره أخيـرا لكتابه في ترجمـة هذا العالم فـقال: "... وتلا بحرف عاصم على الإمـام أبي حيّان، وكتب الحديث، وشـارك في الفضائل، ونسخ كتاب "طبقات القراء" هـذا، مع سكون ووقـار".

٦ ـ صرّح ابن فهـد في كتابه "لحظ الألحاظ" ضـمن ترجمة الوادي آشي، بعنوان الكتاب، فقال: قال الذهبي في "طبقات القراء..."(٢٩).

ومن ثَم فلم يترك الذهبي وابن فهد ـ رحمهما الله ـ مجالاً للشك في عنوان الكتاب الأخير والصحيح، ألا وهو «طبقات القراء».

٧ ـ وفضـلا عن ذلك لقد ذكر الذهبـي مرارًا هذا العنوان في "سيـر أعلام النبلاء" من تأليفـه. فتارة يقول: "قد ذكرت ذلك مطولا في طبـقات القراء"، وتارة "وقد ذكرته في طبقات القراء"، وأخـرى "وله ترجمة طويلة في طبقات القراء"، وغيرها "واستوعبت ترجمته في طبقات القراء"...(٣٠). أفلا تحدد هذه الإحالات عنوان الكتاب؟.

٨ ـ وزد عليها أن علماء من الأسلاف قـد استفادوا من هذا الكتاب، ونقلوا منه عـبارات، أو ترجـموا للذهبي، فـأوردوا ضـمن تأليفـاته كتـابًا تحت هذا العنوان. فهذا تاج الدين السُّبكي قد ذكره في طبقاته[٣١]، وابن حجر العسقلاني أدرج ذكره في الدرر الكامنة[٣٢]، والفاسي في كتابه العقد الثمين[٣٣]، وجلال الدين السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ للذهبي[٣٤].

٩ ـ عُني عدد من العلماء بهذا الكتـاب فرتبوه وفقا لما يرون ؛ ونرى عندهم عنوان الكتاب مطابقا لماانتـهينا إليه . من هؤلاء ابن الحُسبـاني في كتابه «ترتيب طبقات القراء للذهبي».

١٠ ـ وأستطيع أن أسوق عدة شـواهد أخرى لتعضيد نتيـجتنا، لكني اكتفي بإيراد قول معاصرٍ للذهبي:

في غاية النهاية: قلت فـأخبرني الشيخ إبراهيم بن أحمـد الحريري بالقاهرة قال كانت معي نسخة الطبقات بخط أبي عـبدالله الذهبي المؤلف وقد استعرتُها منه من بيته بتربة أمّ الصالح، وكان شيخ الحديث بها. فخرجتُ فإذا شيخنا ابن بَصْخـان في مجلس الإقراء بهـا، فقال: مـاهذا الذي معك؟ فقلت "طبـقات القراء" للذهبي، فقال أرِني حتى أبصر ترجـمتي. قال فأخذه مني فنظر فيه ثم قال اجعلـه عندي إلى غد، فاستـحييتُ منه وقلت بسم الله. فأخـذه مني فلما كان في اليـوم الثاني أخرجه وقـد كتب على خط الذهبي ماكـتب، قال فكيف بقى حالي مع الذهبي؟ قال فجئت إلى الذهبي وأنا في حالة من الحياء اللهُ يعلم بها. قال فسألني فأجبتُه وأنا في غاية الانكسار بصورة الحال. فقال يا ابني ليس لك ذنب أنت معذور، ثم نظر في خط الشيخ ابن بَصخان فلم يغيره[٣٦].

إذًا لم تترك لنا هذه الشواهد الداخلية والخـارجية مجالاً لأن نشك في عنوان الكتاب الصحيح، وهو "طبقـات القراء".

الذهبي :

لا أرى حاجة إلى كتابة ترجمة للذهبي أو تفصيل عن آثاره العلمية أو عن منهجه في كتابة التراجم أو ما قيل من أن مؤلفاته مستلّة من «تاريخ الإسلام» أو «سير أعلام النبلاء» له، فإن جميع هذه الأمور قد بسط فيها القولَ علماء كثيرون، وأخص بالذكر محققي كتب الذهبي(٣٧)، لكني سأسوق فيما يلي ماوجدتُ في هذه النسخة من أمور مفيدة، ولعلها جديدة في هذا الشأن، سوى ماذكرت آنفا ضمن زيادات هذه النسخة:

١ ـ لقد وجدنا في نسختنا تراجم مطوّلة لعدد من القراء الذين لم نجد لهم تراجم أو مجرد ذكر في مصادر أخرى معنية بهذا الفن.

٢ ـ أن بعض التراجم الواردة في كتب الذهبي، وخاصة في سير أعلام النبلاء له تزيد أحيانا وتنقص أحيانا عما ورد في نسختنا.

٣ ـ أن الذهبي في كتبه المؤلفة بعد «طبقات القراء»، ومنها «سير أعلام النبلاء» قد أحال في تراجم عديدة إلى «طبقات القراء» له، مما يدل على أن التراجم هذه أوفى وأطول مما في كتبه الأخرى. وهذه ميزة جليلة لهذا الكتاب(٣٨).

٤ ـ ذكر الذهبي في طبقات القراء تراجم مفصلة لمعاصريه ممن لم يذكرهم في مكان آخر.

٥ ـ أورد الذهبي في هذه النسخة سني وفيات العلماء المعاصرين له حتى مماته، وقد استطاع في هذه الفترة أن يزود كتابه هذا بمعلومات لم يذكرها في مؤلفات أخرى(٣٩).

٦ ـ للذهبي إشارات واضحة في مسألة تحديد الطبقات. ومن يريد الاطلاع

عليها فليراجع التراجم الآتية في نسختنا: ١٢٨، ٢٨٨، ٣٣٦، ٣٩٠، ٥٢٦، ٨٤٢، ٨٧١، ٨٩٣، ١١٨٥ وفي عنوان الطبقة الثانية عشرة. وهذا أمر ليس بواضح لدارسي الذهبي، وهو موضح في «طبقات القراء».

* * *

عملي في الكتاب:

١ ـ لا أدعي أن الكتاب صواب كلّه، أو ليس فيه أي نقص، لكنه جهد متواضع أقرب إلى الصواب. من المعروف أن محقق الكتاب عن نسخة واحدة ـ مثل كتابنا ـ يعاني مشكلات في قراءة النص. ومن المحتمل أن تزلّ قدمه في مواطن. وإن نشر كتاب كهذا يحمل عدة مخاطر وقد يعتوره النقص. وعلى الرغم من ذلك كله فقد عزمتُ على نشر الكتاب لئلا تضيع هذه النسخة الفريدة فنحرم من كتاب قيّم من تراثنا الذهبي.

٢ ـ ولئن حققت الكتاب على نسخة واحدة له فقد استفدتُ كثيراً من «معرفة القراء الكبار» المطبوع بتحقيق الدكتور بشّار عواد معروف وغيره من العلماء. وإنني أضع "معرفة القراء الكبار" المنشورة في مقام نسخة ثانية للكتاب.

٣ ـ أسقط المؤلف عدة تراجم وإفادات ذكرها في نسخ الكتاب بصيغتيه الأولى والثانية. ولو أردت أن أضم تلك الإفادات والتراجم إلى نسختنا، لفعلت وكان بطوقي، ولكن لم أفعل ذلك لأن المؤلف الذي يعرف كتابه حق المعرفة لم يضمّها إلى شكل الكتاب النهائي.

٤ ـ وقد أشرت آنفًا إلى ورقتين مفقودتين، وبضعة أوراق ممزقة من الكتاب. ولئن لم استطع استكمالها كلها فقد حاولت أن أكملها من «معرفة القراء» المطبوع.

٥ ـ نسّقت مادة الكتاب تنسيقًا يعين على فهم النص فهمًا صحيحًا، وفصلت كل إفادة عن غيرها. ولا بدّ من الإشادة بعمل ابن فهد ناسخ النسخة الذي فصل كلّ ترجمة بقلم أحمر وخصها بسطر جديد، كما رقّمها في الطبقات.

٦ ـ ترددتُ في أن أسجل إضافات الذهبي في شكل الكتاب النهائي ـ وهي في بعض الأحيان تغيير في الأسماء وأخرى زيادة لفقرات، وأكثر الأوقات إضافات طويلة . ولكني انتهيتُ بعد تروّ إلى أن إظهار تلك الفوارق لا يجدي، وليس بأمر سهل.

٧ ـ تحريت ـ قدر جهدي ـ في ضبط النص، خاصّة أسماء الأعلام معتمدًا على أوثق المصادر الموجودة لديّ.

ولايفوتني أن أذكر أن الناسخ كتب بعض الكلمات بغير إعجام، كما أشرت إليه أعلاه. وقد اجتهدت في قراءة الأسماء قراءة صحيحة.

٨ ـ راجعتُ نصوص الكتاب على الموارد التي نقل عنها المؤلف أو استمد منها ماأمكنني الوقوف والحصول عليه من المطبوع منه والمخطوط. واستعنتُ كثيرًا بعمل محققي «معرفة القراء»، كما استفدت من حواشيهم كثيرًا.

٩ ـ وضعت لكل ترجمة رقمين: الأرقام الأولى متسلسلة للتراجم من البداية إلى نهاية الكتاب؛ والثانية لكل طبقة على حدة تبتدئ من أولها وتنتهي بآخرها، وذلك لتمييز طبقة من أخرى.

١٠ ـ استعمل المؤلف رموزًا جرى المحدثون على استعمالها في الأسانيد، فكتب مِن "حدثنا" : "ثنا"، ومن "أخبرنا" : "انا"، وربما حذف الثاء والألف

واقتصر على "نا"، فلم أغير معظم تلك الرموز، وهي معروفة من أزمان غابرة.

١١ - غيّرتُ رسم بعض الأسماء، فمن ذلك حذف الألف المتوسطة من كثير من الأسماء مثل خالد، الحارث، إبراهيم، سليمان، عثمان، إسحاق ونحوها. و لم أغير رسم كلمة "مائة" التي ترجح كتابتها بـ "مئة" في هذه الأيام، وذلك تبعا لرسم المؤلف.

١٢ - لم أر داعيا للإشارة إلى أغلاط طبعات الكتاب السالفة وسقْطها، إلا أني تعقّبتُ أسماءً وكلمات تصحفت أو حُرّفت في المطبوع، وذلك أمانة للتحقيق، ورعاية لرغبة المؤلف في إيرادها على الوجه الصحيح.

١٣ - أردتُ أولاً ألا أورد في حاشية المترجَم مصادر ترجمته، لأن محققي «معرفة القراء» - وهم سابقون في هذا الميدان، والفضل لهم - قد أوردوا مصادر لنصف التراجم عندنا تقريبًا، فلا حاجة لهؤلاء هنا، ورأيت أن إحالة إليها تكفي. ولما خطوت في العمل خطوات أدركت أن القارئ سيجد صعوبة في الرجوع إلى مصادر ترجمة ما في «معرفة القراء»، وربما لا يجدها فيها. يضاف إلى ذلك أن مترجمين عندنا كُثْرا لم يوجد لهم تراجم في «معرفة القراء»، فلابدّ من الإشارة إلى مصادرهم هنا. لذا عزمت على أن أورد المصادر مجتهدا ألا أثقل الكتاب بكثرة الحواشي.

١٤ - جاءت في الكتاب أحاديث عديدة في تراجم الصحابة، وهي تحتاج إلى تخريج، ولكني لم أخرّجها كلَّها، لأن الإتيان بالتخريجات الطويلة من كتب الأحاديث لا يفيد نص الكتاب الذي حاولت تقويمه جهدي، بل هو مما يثقل الكتاب ويزيد في حجمه.

وأخيرًا، أقول إن هذا جهد متواضع، ومحاولة مني أن يكون العمل أقربَ إلى الصواب. وأرجو الله أن يتقبله راجيا أن يُذكَر اسمي مِن بين مَن خدموا القرآن العزيز وحملته.

وأوجه شكري إلى الذين أمدوني بمعلومات مفيدة في تحقيق هذا الكتاب، وأخص بالشكر الدكتور عزيز شمس الذي تفضل بقراءة مسوّدة هذا الكتاب وتقديم اقتراحات مفيدة في عدة مواضع منه لتقويم النص، وخاصة في الأبيات الشعرية. والله من وراء القصد.

الدكتور/ أحمد خان

الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد ـ باكستان

حواشي المقدمة

(١) راجع مقدمة محقق سير أعلام النبلاء: ص ٩٢؛ ومقدمة محقق تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزّي: ٧٧.

(٢) تولى الذهبي في سنة ٧٠٣هـ الخطابة بمسجد كفر بطنا، وهي قرية بغوطة دمشق، وظل مقيما بها حتى سنة ٨١٨هـ، راجع مقدمة محقق سير أعلام النبلاء: ٤١.

(٣) استنتج محققو معرفة القراء (١/ ١٣)، ـ وهم مصيبون في ذاك الاستنتاج ـ من ترجمة مجد الدين أبي بكر المرسي (٢/ ٧٤١ ـ ٧٤٢) الذي لم يذكر الذهبي سنة وفاته في «معرفة القراء» أنه كان حياً وقت إتمام الكتاب. وأنه قد مات في ذي القعدة سنة ٨١٨هـ. وهذا معناه أن الكتاب كان قد تم تأليفه قبل هذه السنة، ولو كان تم تأليفه في السنة التي بعدها لأورد الذهبي سنة وفاة المرسي.

(٤) وجدنا قطعة منها منقولة بخط مستشرق انتسخها سنة ١٨٠م ولم يثبت عليها اسمه ولا مكان نسخه من نسخة ابن السَّلعُوس التي لانعرف عنها شيئاً ـ أي بأية مكتبة توجد. وتشمل هذه القطعة قسما من أول الكتاب إلى ترجمة الطيب بن إسماعيل أبي حمدون الذهلي (معرفة القراء ١/ ٢١٢)، وتوجد بمكتبة برلين برقم ٩٩٤٣. ونقل المستشرق في بداية هذه القطعة سماعة ابن السَّلعُوس عن الذهبي بنصه كذلك، وهي تجرى على النحو الآتي:

" سمع هذا الكتاب كلّه من لفظي، وتابعني الشيخ الإمام المقرّب المجوّد الماهر شهاب الدين أبوالعبّاس أحمد بن محمد بن يحيى بن نملة النابلسي ثم الدمشقي التاجر، بلغه الله آماله وأصلح أعماله، وهو ممسك ـ حال السماع ـ هذه النسخة التي كتبها بيده. وصح ذلك في عدة مجالس، تمت تاسع جمادى الأخرة سنة خمس وعشرين وسبعمائة، والحمد لله.

وأجزتُ له، ولأخيه جميع ماحملتُه سماعا، وتلاوة، وإجازة، وماقلتُه وألّفتُه.

وكتب محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، غفر الله له، ولوالديه، وتاب عليه كلما تاب إليه".

وأخبرنا الذهبي كذلك عن هذه النسخة في هذا الكتاب، انظر ترجمة ابن السلعوس، ورقمها ١٢٣٦ في نسختنا.

(٥) وعليها نشر معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار بتحقيق الدكتور بشّار عواد معروف، وشعيب الأرناؤوط، وصالح مهدي عبّاس، سنة ١٩٨٤م. راجع مقدمة المحققين للكتاب: ١٦، واللوحة فيها.

(٦) انظر فهرس مخطوطات مكتبة كوبربللي: ٥٦٩ ـ ٥٧٠.

(٧) انظر مقدمة محققي معرفة القراء: ١٧.

(٨) وقد ظن ابن الجزري بأنه أتى في غاية النهاية على جميع كتابي الحافظ أبي عبدالله الذهبي والداني (١/ ٣). والحق أنه لم يتفق له الحصول على كتاب الذهبي كاملا.

(٩) مقدمة محققي معرفة القراء: ١٧.

(١٠) انظر غاية النهاية مثلا الترجمة ٣٤١٩ (١/ ٥٩٥)، ٣٢٩١ (٢/ ٢١٢).

(١١) انظر تراجم نسختنا: ١١٩٥ (٧٣٢هـ)، ١٢٣٦ (٧٣٢هـ)، ١٣٠٥ (٧٣٥هـ)، ١٢٣٨ (٧٣٥هـ)، ١٢٠٩ (٧٣٨هـ)، ١٢١٩ (٧٣٩هـ)، ١٢٢٦ (٧٤٠هـ)، ١٢٢٥ (٧٤٢هـ)، ١٢٠٨ (٧٤٣هـ)، ١٢١٧ (٧٤٣هـ)، ١٢٠١ (٧٤٥هـ).

(١٢) ترجمة ١٢٠٤.

(١٣) هي هذه النسخة التي بين أيدينا.

(١٤) هناك إفادة قصيرة عن نسخة باريس من كتاب معرفة القراء. ولئن لم تذكر هذه النسخة من بين النسخ التي استفاد منها محققو الكتاب، لكنهم قد ذكروها ضمن إفادة، فقالوا: إن ابن الجزري قد ذكر في ترجمة يوسف بن المبارك (انظر معرفة القراء ٢/ ٥٣٠):

"وقد ترجمه الذهبي بترجمتين في الطبقة الثانية عشرة والثالثة عشرة، وبسط الثانية أكثر" (غاية النهاية ٢/٤٠٣).

هنا قال محققو الكتاب: "لم نجد له ترجمتين في الأصل، فكأنه تنبه إلى التكرار، فحذفه؛ وهو في نسخة باريس، رقم ٢٠٨٤، الورقة ١٥٢، ١٥٧"

وتشير هذه الإفادة إلى أمر مهم بالنسبة لنا، وهو أن النسخة التي توجد بباريس ربما كانت من نسخ الكتاب في صيغته الثانية، لأن معرفة القراء ونسختنا لاتشتملان على ترجمتين للمترجَم المذكور. ولكن يخيب أملنا ثانياً بأن النسخة هذه لو كانت من صيغته الثانية لكانت مشتملة على زيادات عديدة على الأولى، فأوردها محققو الكتاب في مكانها من معرفة القراء يقينا، لكنهم لم يشروا إليها إلا في المكان المشار إليه آنفاً.

(١٥) على سبيل المثال لا الحصر، انظر التراجم الآتية في غاية النهاية فقد نقلها ابن الجزري عن الذهبي. فبديهي أن ابن الجزري قد استفاد فيها من نسخة طبقات القراء للذهبي المشار إليها آنفاً، حيث أن هذه التراجم لاتوجد في معرفة القراء المطبوع:

- أحمد بن الحسن بن علي (رقم الترجمة في الغاية ٢٠١، وفي نسختنا ١٢١٢).
- إبراهيم بن حسن بن نجيح التبّان (رقم الترجمة في الغاية ٣٦، وفي نسختنا ٩٩).
- ترك الحذاء النعّال (رقم الترجمة في الغاية ٨٠٦، وفي نسختنا ١٤٣).
- حامد بن محمود بن حرب (رقم الترجمة في الغاية ٩٢٩، وفي نسختنا ١٦٧).
- عمر بن هارون البلخي (رقم الترجمة في الغاية ٢٤٣٧، وفي نسختنا ٨٧).
- القاسم بن يزيد بن كُلَيب الوزّان (رقم الترجمة في الغاية ٢٦٠٩، وفي نسختنا ١٦٥).
- قتيبة بن مهران (رقم الترجمة في الغاية ٢٦١٢، وفي نسختنا ١٠٢).
- محمد بن أحمد بن محمد البَيْسَاني (رقم الترجمة في الغاية ٢٧٩٤، وفي نسختنا ٢١٦).
- محمد بن الحسين بن حرب (رقم الترجمة في الغاية ٢٩٦١، وفي نسختنا٩٤٩)
- محمد بن عبد الرحمن بن السَّمَيفع (رقم الترجمة في الغاية ٣١٠٦، وفي نسختنا ١٠١).

ــ محمد بن عمر القصَبي (رقم الترجمة في الغاية ٣٣١٣، وفي نسختنا ١١٩).
ــ محمد بن عمرو بن عون الواسطي (رقم الترجمة في الغاية ٣٣٢٩، وفي نسختنا ١٩٠).
ــ الفضل بن صدقة (رقم الترجمة في الغاية ٣٦٣٧، وفي نسختنا ٥٨).

(١٦) على سبيل المثال لا الحصر:
ــ محمد بن حماد بن بكر بن حمّاد البغدادي (رقم الترجمة في نسختنا ٢٣٣).
ــ عبدالمالك بن أحمد بن عصام (رقم الترجمة في الغاية ٣٤٦).
ــ محمد بن الحسن بن علاّن بن سختويه (رقم الترجمة في الغاية ٣٤٧).
ــ عبدالله بن إليسع الأنطاكي (رقم الترجمة في الغاية ٣٥١).
ــ عمر بن أحمد بن هارون بن الآجري (رقم الترجمة في الغاية ٣٨٢).
ــ عبدالقاهر بن عبدالعزيز الضائغ (رقم الترجمة في الغاية ٤٣١).
ــ عبيد الله بن عبدالله بن الحسن البغدادي (رقم الترجمة في الغاية ٤٣٢).
ــ عطية بن سعيد بن عبدالله (رقم الترجمة في الغاية ٤٤٣).
ــ الحسين بن عبدالواحد الحذّاء (رقم الترجمة في الغاية ٤٤٥).
ــ أبوالحسين عبدالرحمن بن محمد (رقم الترجمة في الغاية ٤٧٤).

والملاحظ أننا قد اخترناهم من مكان واحد، حيث إنهم كثير عندنا، وقد أشرنا في الحواشي إليهم.

(١٧) ذكر الذهبي (الترجمة ١٢٣٧) أن أبا بكر بن أيدغدي بن عبدالله الشمسي "قد حصل نسخة بهذه الطبقات". لعل الله صانها فتخرجَها أيدي العلماء في المستقبل.

(١٨) ومن الغريب أن محققي معرفة القراء لم يصرحوا بهذا الأمر لدى إيراد أبيات صلاح الدين الصفدي في بداية معرفة القراء، وأنه فيها يقول: * تَجِدْهَا سَبْعَةً مِن بَعْدِ عَشْرِ *
حيث يحدد الصفدي بوضوح عدد الطبقات بسبع عشرة طبقة. ولكن ما في معرفة القراء المطبوع هو ثماني عشرة طبقة.

(١٩) لاشك أنه أسقط التراجم المكررة من الصيغتين الأولى والثانية، ولكنه كرر في هذه النسخة التراجم الآتية: ٦٧، ٩٧، ١١٩، ١٥٤، ٦٠١، ٧٠٥، ٦٧٥، ٧١٧، ٧٧٧، ٤٩٤، ٩٣٢، ١٠٣٤، ٩٨٦، ١٠٢، ٩٩٥، ١٠٤٥، ١٠٦٢، ١٠٧٧.

(٢٠) انظر في معرفة القراء التراجم: ٥٩٥، ٦٨٦، ٧٠١، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٧، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧٢٥، التي لاتوجد في نسختنا.

(٢١) اسمه كاملا: محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن فهد الهاشمي العلوي ثم المكي الشافعي، المعروف بابن فهد. هو مؤرخ من علماء الشافعية. ولد بأصفوان من صعيد مصر الأعلى بالقرب من إسنا، في ربيع الثاني ٧٨٧هـ، وانتقل مع أبيه إلى مكة، وطن أسرته وأجداده سنة ٧٩٥هـ، واتخذ منزلاً تجاه الكعبة المشرفة. وظلّ في ذاك البيت حتى الممات، فيما يبدُو، ونراه على

وجه الخصوص فيه من ٨١٧هـ إلى ٨٣٥هـ كما تنم عن ذلك نسخةُ طبقات القراء من ثبت في آخرها وتاريخ كتابتها. وتوفى فيها في ربيع الأول سنة ٨٧١هـ. ومن تأليفاته:

١ـ النور الباهر الساطع من سيرة ذي البرهان القاطع - في السيرة النبوية.

٢ - المطالب السنية العوالي بما لقريش من المفاخر والمعالي.

٣ - عمدة المنتحل وبلغة المرتحل - في الحديث.

٤ - لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ للذهبي - في الحفاظ.

٥ - طرق الإصابة بما جاء في الصحابة.

٦ - سيرة الخلفاء والملوك - مجلدان.

٧ - نهاية التقريب وتكميل التهذيب جمع فيه بين تهذيب الكمال، ومختصريه للذهبي وابن حجر.

٨ - الزوائد على حياة الحيوان للدَّميري.

٩ - قصص الأنبياء ...... وكتب أخرى.

انظر لترجمته: كتابه «مقدمة لحظ الألحاظ» الذي طبع بذيل طبقات الحفاظ للذهبي، بدمشق: ٢-٥؛ والأعلام للزركلي ٧/٢٧٧ - ٢٧٨؛ ومعجم المؤلفين: ١١/٢٩١.

(٢٢) في آخر كل جزء من النسخة أثبت ابن فهد هذه العبارة: "بلغت المقابلة بأصله، فصح، ولله الحمد والشكر". أو بتعديل يسير، وقد بلغ ذلك ١٤ بلاغا.

(٢٣) وقد أثبت ذلك في آخر كل طبقة تقريبا - إلاّ البعض - وذلك على الهامش، وبلغت تلك الأثبات ١٥ ثبتاً. وقرئ الكتاب أمام أسرة ابن فهد، ورأينا تفصيل هذا في الأثبات. وأسوق هذه الإفادة لأن هذه التفاصيل عن أسرة ابن فهد لا توجد في المصادر:

- أولاده الثلاثة: محمد، وأبوبكر، وعمر.

- بناته الثلاث: فاطمة، وزينب، ورقية؛ وهنّ بنت قريش وأمّ هانيء وأم البنين.

- شقيقته: كمالية.

- والدتهم: لعل اسمها حاضرة.

- خادمتهم: فتاة سهب الله الحبشية.

وقد انعقد المجلس الثاني عشر في ١٠ ذي الحجة سنة ٨٢٤هـ. ومن الغريب أن المجلس التالي الذي انعقد بعد عدة أيام، قد أثبت ابن فهد تاريخه بـ ١٨ محرم سنة ٨٢٦هـ، وكذلك المجلس التالي في المحرم من نفس السنة. وأرى أنه قد سبقه قلمه في كلا المكانين، ولعل الصواب هو سنة ٨٢٥هـ. ومن الطبيعي أن المجالس قد انعقدت متصلة، وليس بينهما مدة طويلة كعام كامل.

(٢٤) ينظر كتاب: الذهبي ومنهجه للدكتور بشّار عواد معروف: ١٨٩.

(٢٥) يراجع لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لابن فهد الهاشمي: ٢٤٥.

(٢٦) وُلد المولوي محمد علي منشئ هذه المدرسة سنة ١١٦٤هـ بمدينة بتالة (BATALA) من مقاطعة

بنجاب الشرقي. وهجرها في عشرينه ووصل إلى مكمدٌ (قرية قديمة على ضفة نهر سند بقرب مدينة سيانوالي) لطلب العلم كعادة الأسلاف. وظلّ هنا مدة طويلة فلم يترك هذا المكان العلمي. وكان يحب طلبة العلم ويجد في خدمتهم لذة. ويحب الكتب كذلك، وقد جمع لديه كثيرا منها، وأكثرها مخطوط ومجلوب من البلاد النائية كبلخ وبخارى وسمرقند وكشمير وبنغالة وإيران. وأما مدرسته التي كانت كعبة العلم في تلك الأزمان فقد جلبت طلبة من المواضع المشار إليها آنفاً. ونرى هذه المدرسة في ذروتها من الخدمة حتى ممات المولوي محمد علي في رمضان سنة ١٢٥٣هـ. فخلفه تلاميذه العلماء الذين جلسوا في مكان تدريسه، وباتت المدرسة تنشر العلم نحو قرن ونصف. أما الآن فليس فيها شيء من العلم إلا مكتبته المهجورة، وكتبها منقسمة بين أخلافه، وحالها لاتذكر.

(٢٧) انظر مقدمة محقق كتاب المرتجل في شرح القلادة السمطية في توشيح الدريدية: ١٥ - ١٦.

(٢٨) مقدمة المحقق لكتاب تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي: انظر: حاشية رقم ١٣ صفحة ٧٧.

(٢٩) لحظ الألحاظ: ١١٥، وهذه الترجمة بنصها في نسختنا برقم.١١٦.

(٣٠) راجع مثلاً ٥/ ٢٩٣، ٦/ ٤٠٧، ٧/ ٩٢، ٣٣٦، ١٥/ ٩٥، ٢٦٥، ٢٦٦، ١٦/ ٢٦٠، ٥١٦.

(٣١) ٩/ ١٠٤.

(٣٢) ٣/ ٤٢٦.

(٣٣) ٣/ ٣٠٠.

(٣٤) ص ٣٤٨.

(٣٥) لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ: ٢٤٥.

(٣٦) انظر: غاية النهاية ٢/ ٥٩.

(٣٧) تراجع مقدمات كتب الذهبي المطبوعة حديثا، وخاصة سير أعلام النبلاء بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد، وبتحقيق نخبة من العلماء، المنشور من مؤسسة الرسالة، ومعرفة القراء، وغيرهما، والذهبي ومنهجه للدكتور بشّار عوّاد معروف.

(٣٨) تراجع حاشية رقم ٣٠ أعلاه.

(٣٩) إن محققي سير أعلام النبلاء قد ذكروا له ميزتين رئيستين: أولاهما الإضافات الجديدة وإعادة التنظيم، وثانيتهما أنه أعاد النظر في المادة المقدمة طيلة تلك المدة، فذكرها بعد أن زادها تحقيقاً وتمحيصاً، وأنها تمثل الشكل الذي ارتضاه في أواخر حياته العلمية الحافلة بجلائل المؤلفات (١/ ١٣٧).

وهذا القول صحيح، ولكنه بالنسبة لطبقات القراء أصح، لأن الذهبي قد أحال في عدد من التراجم في سير أعلام النبلاء على طبقات القراء، له. فالكتاب الذي يحال إليه إذًا يمثل الشكل النهائي.

* * *